تجليات الآداب والعلوم الإنسانية في الخطاب الرقمي

د. ادريس عبد النور
أستاذ باحث بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين فاس – مكناس /المغرب
أستاذ مادة اللغة العربية وعلوم التربية والنقد النسائي والثقافة الرقمية

ملخص:

فتحت الوسائط الإلكترونية كل العوالم على بعضها، فأنتجت مستهلكيها بغرض دمجهم في الزمن الالكتروني دون السماح لهم، بعد ذلك، من الانفكاك من كل الحوامل الإلكترونية التي مكنتها أن تُسِّوق لشخصية الفرد والمجتمع، إن أي قراءة نقدية داخل جسد الثقافة الرقمية ، تعد لحظة تأمل في نمط عيش المرحلة ، خاصة وهي تبدو غير قادرة على الانفكاك من الأدوات التي تُلخص هذا النمط الفكري والحضاري المنتشي بأدواته.

وإذ نرصد بعض إرهاصات التمايز الرقمي وهي تتجلى في العمق الرمزي الانساني، وتطرح للمقاربة واقع المجتمعات وهي تواجه التفكير في ظل مشهد معلوماتي يتطور بسرعة أدوات تفكيره، لا بد من قياس عمق التشكل الرقمي في بنية التفكير الانساني وذلك بالاشتغال على أهم آلية يمكن أن نلمس فيها عمق التغير المجتمعي وخاصة المستويات السيكو- سوسيولوجية المتمنّعة على التغيُّر بشكل آلي.

أما الأديان وهي تُبث رقميا تستطيع بحكم التدخل التكنولوجي أن تُحدث الفرق في هشاشة الفرد والمجتمع بما أن حياة الأفراد في الزمن الرقمي لم تعد محددة سلفا وغير خاضعة لسيطرتهم.

وإذ ينقلنا البحث إلى الأدبية الالكترونية وهي تنفتح على كل الاحتمالات الافتراضية، يلقي الضوء على النص الرقمي وهو يخلخل النظرية الأدبية ويُرجع فاعليته الأدبية إلى التلقي، أي إلى المتلقي المتفاعل (المستهلك- المنتج) الذي ينزاح عن المركز ليُقيم في الهامش بدون مرجعية، حيث يستطيع الهامش أن يترابط بالمركز فقط من أجل إضعاف سلطته والتقليل من هيمنة أدواته.

الكلمات المفاتيح: الخطاب الرقمي، الثقافة الرقمية، علم النفس الرقمي علم الاجتماع الرقمي، الدين الرقمي، التقانة، الأدب الرقمي ، الكاتب الرقمي، التلقي الرقمي ، النقد التفاعلي.

résumé:

Les médias électroniques ont ouvert tous les mondes les uns aux autres, et ont produit ses consommateurs dans le but de les intégrer dans le temps électronique sans leur permettre, ensuite, de rompre avec tous les supports électroniques qui leur permettaient de commercialiser la personnalité de l'individu et Toute lecture critique au sein du corpus de la culture numérique est un moment de réflexion à la manière de Vivre la scène, d'autant plus qu'elle semble incapable de se dégager des outils qui résument ce schéma intellectuel et civilisé qui est élevé avec ses outils.

Alors que nous suivons certains des signes avant-coureurs de la différenciation numérique, qui se reflète dans la profondeur symbolique de l'humanité, et présente l'approche de la réalité des sociétés face à la pensée à la lumière d'un paysage de l'information qui développe rapidement ses outils de pensée, il est nécessaire de mesurer la profondeur de la formation numérique dans la structure de la pensée humaine en travaillant sur le mécanisme le plus important dans lequel nous pouvons toucher la profondeur du changement sociétal, en particulier les niveaux psycho-sociologiques qui hésitent à changer automatiquement.

Quant aux religions, qui sont diffusées numériquement, elles peuvent, grâce à l'intervention technologique, faire la différence dans la fragilité de l'individu et de la société, puisque la vie des individus à l'ère numérique n'est plus prédéterminée et n'est pas soumise à leur contrôle.

En nous déplaçant vers la littérature électronique, ouverte à tous les possibles possibles, la recherche éclaire le texte numérique en tant qu'il bouleverse la théorie littéraire et rend son efficacité littéraire à la réception, c'est-à-dire au destinataire interactif (consommateur-producteur) qui s'éloigne du centre pour résider dans la marge sans référence, où la marge ne peut être liée au centre que pour affaiblir son autorité et réduire la domination de ses outils.

Mots clés : discours numérique, culture numérique, psychologie numérique, sociologie numérique, religion numérique, technologie, littérature numérique, écrivain numérique, réception numérique. critique interactif.

مقدمة: الخطاب الرقمي بين التقانة والثقافة

أتاحت الشبكة العنكبوتية لمستعمليها مساحة واسعة للتعبير والتواصل وسرعة تصريف المعلومة بما هي حقائق للتداول العام تؤمن المعلومة الطرية والقابلة للمعيارية الفورية، يستطيع معها المتلقي صياغة مقاربته الخاصة وهو يتوجه نحو ثوابته ومتغيراته وتصريفها على شكل تفاعلات إيجابية أوسلبية.

إن الخطاب الرقمي يفرض منطقه وأشكال تجليه بعيدا عن الاستبداد الفكري وغطرسة الورق، فالأسئلة التي فجرها هذا الخطاب الآنترنيتي، مقلقة ومشاكسة لنمط التفكير السابق نظرا لاكتساح هذا النسيج العنكبوتي كل المجالات التي يستطيع داخلها ابتلاع كل الأطراف والهوامش ويتمركز في خطاب دوائر لا يحترم إلا دائرة التلقي.

إن اتساع الإسناد الالكتروني للتلقي أثّر ويؤثر بشكل كبير في بنية الخطاب الانساني ، فالبنيات التفاعلية من: (روابط، ميديا، صور، ألوان، مؤثرات، فلاشات.....) أصبحت جزء أساسيا لا يستطيع النص الرقمي أن يتجلى دونها، إلا فيما إذا استدمج هذه الوسائط في بنيته الأساسية، إن النص الرقمي يهجس بالتغيير ولو لم يطرح أسئلته المتجددة على الواقع، لأن التصور الجديد للعالم يُنتج أدوات تفكيره بعيدا عن الشخص الواقعي من حيث أن هذه الأدوات تتجاوز إمكانية الوسيط التكنولوجي إلى التعبير عن أشكال التفكير.

إن الثقافة التكنولوجية تضع هامش حرية الأفراد كمبدأ أساسي للتشكل دون أن تعني بصدق المفهوم الكلاسيكي للحرية، فالمعلومات وهي تزحف متراكمة نحو وعي الأفراد لا تستطيع أن تحافظ على خصوصيات المجتمع، ولا على تدبير تواجدها المجتمعي المتسارع والضيق في نفس الآن، إن الانصهار الثقافي وارد في ظل الزمن الالكتروني الذي غير من معادلة الإنسان صانع المعرفة ومنتجها ومستهلكها، إلى معادلة مفتوحة تؤسس للمعرفة الرقمية وتنتج الكائن الالكتروني المنفعل بالمعرفة.

أما الأسئلة العميقة التي يتيحها البعد التكنولوجي للمعرفة داخل البعد الإنساني فتنتج تصورا آليا لمسألة التغيير الاجتماعي والذي أصبح في حكم العادي داخل الزمن الالكتروني، حيث لا يوجد شيء ثابت ماعدا التغيير ذاته كما نادى بذلك هيروقليطس Heraclitus في الزمن اليوناني للمعرفة، إن التغير المستمر في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وهي تتميز بترسيخ تأثيراتها على الفرد والمجتمع نظرا لماديتها المرئية، لا تترك نفس الأثر على التغير الاجتماعي بما هو مرتبط تفاعليا بالنتائج التي يمكن رصدها وملاحظتها عند استقبال التغيير في بنية الفرد والمجتمع.

1- علم النفس الرقمي أساس بنية الخطاب الرقمي

اقتحم الأنترنت حياة الإنسان واستولى على مشاعره العميقة التي تمثل الخريطة النفسية للكائن، فكانت لغة القلب هي أولى العواطف التي استسلمت أمام التكنولوجيا، فغدا الأنترنت ليس ذلك الحامل للمعلومة فقط كما بدت أولى أهداف تواجده، بل غدا بديلا افتراضيا لحياة جهد الإنسان منذ العصور على عكس أفقها الواقعي، فبقدر ما يتمثل الأنترنت كإمكانية تواصلية ووسيلة نقل لمشاعر الإنسان تمثلت بالضرورة نمط عيش ووسيلة مفعمة بالنشاط الإنساني.

إن الأنترنوت وهو يحس بالانتماء إلى مجتمعه الافتراضي لا يستغني عن الاستجابة الواقعية لمجتمعه الرقمي، ونأخذ مثالا عن ذلك المجتمع الفايسبوكي وتوازن الشخصية الفايسبوكية التي هزت المجتمعات العربية.

فالكائن الفايسبوكي قابل للدراسة النفسية من حيث قابليته للدراسة وتمكينه الدارس من رصد طبيعته المفتوحة وسلوكه الشخصي داخل مجتمع الأنترنت، الذي أصبح يتجلى بعيدا عن المجتمع الواقعي، فالفرد الفايسبوكي مثلا له القدرة على التواصل مع مجموعة مختارة سلفا عبر الشات chatويتقاسم معهم كل حقيقة وكذلك العديد من المعلومات منها الشخصي ومنها العام.

لقد رصدنا بعض السلوكات النفسية التي أصبحت منتشرة على المستوى الافتراضي وأصبحت تسم هذا الفضاء والانسان داخله بالعزلة الزرقاء أو ما يمكن أن أسميه عزلة الوميض السيليكوني، ومنها:

أ) المقاربة النفسية للشخصية الافتراضية النفسية .

- التنكر :

إن صفة التنكر داخل هذا الفضاء الافتراضي يتيح للفرد الأكثر عزلة أن ينخرط بدون مراقبة في مواضيع يغطيها كبت وقمع الواقع.

فالحاسوب يعد الفضاء الأمثل لتلقي وبث الحقيقة ومقاسمة الآخر أفكاره وفرز واستضافة كل الشخصيات التي تمثل هذا العالم من العصابي والسوي والمنحرف و... وهو يعرف أن استحالة تطابقها مع الشخصية الرقمية والشخصية الواقعية أمر بعيد التحقيق. فغالبا ما تعيش الشخصية الواقعية تحت وطأة المادي، وقد تستطيع نفس الشخصية على المستوى الرقمي أن تتجاوز حدود هذا الانحسار نحو أفق مفتوح حيث يستطيع الفرد أن يخلق شخصية رقمية مشهورة على الأنترنت بالرغم من كونها مغمورة واقعيا.

- التقمص:

أما إمكانية تقمص شخصية غير الشخصية الواقعية، فهو أمر وارد يتيح امكانية الاحتيال الرقمي وهو نوع من القرصنة والفضول الرقمي الذي يتيح لمستعملي spam بالتجسس على الآخرين والتلصص على حياتهم الشخصية.

- الاستعارية :

إن إمكانية التخفي Anonymity في المنتديات تتيح للمتجول الرقمي أن يصبح شبحا رقميا تجعله تارة متسللا إلى حواسب الآخرين، وهذه الصفة الرقمية (الاسم المستعار) خلقت فئة من لصوص الرقمي والقراصنة الإلكترونيين.

- انتحال الشخصية :

هذه جريمة واقعية يتم ضبطها على المستوى الواقعي بسهولة لكن الانتحال الرقمي للشخصية له عدة أوجه، يأخذ تارة صفة ضيف غير مرغوب فيه يدخل الحواسيب الشخصية للآخرين يعبث بمحتوياتها ويسرق هويات أصحابها من بيانات وأسرار وتجعله هذه الصفة متملكا لبريدك يراسل الآخرين باسمك ومن بريدك الشخصي مما يجعله مطلعا على كل الأسرار الشخصية.

- قابلية الأفراد للملاحظة:

تقوم محركات البحث google و yahooبجمع معلومات عن المستخدمين من خلال المواضيع التي يبحثون عنها بهذه المحركات البحثية تستطيع دراسة رغبات المجتمع الرقمي باعتباره مجتمعا مستهلكا على الصعيد الواقعي.

ب) المجتمع الرقمي : حياة إلكترونية جديدة

يمثل الفايسبوك وتويتر أكبر مثال للأنشطة الجماعية التي يظهر فيها سلوك الأفراد الرقميين وهم منخرطين في نمطهم المعيشي الرقمي.

وكما في الواقع يمكن تصنيف شخصيات الفايسبوك إلى شخصيات قائدة وشخصيات منقادة، شخصيات محبوبة وشخصيات منفردة. شخصيات واضحة تبحث عن صداقات واضحة وعلنية، وشخصيات جنسية-نرجسية تبحث عن صداقات سرية غير مرئية.

2- علم الاجتماع الرقمي والقيم الإنسانية

لاشك أن العلاقة بين التكنولوجيا والقيم تمكن الباحث من رصدها فيما يمكن تسميته "بأخلقة المعلومة" "information ethic" وهو مجال يرصد المسؤولية السوسيولوجية لثورة المعلومات وخاصة ما يقع من تغيير في القيم : قيم الحرية والديموقراطية والعدالة والمعرفة والسعادة ...

ويمكن في هذا الإطار أن نسوق ما قاله الباحث جيمس مور James H. Moor سنة 1985 وهو يتطرق إلى أخلاق الحاسوب في الدورية الفرنسية journal Metophilosophy حيث ناقش محللا فيه التأثير الاجتماعي لتقنية المعلومات، كما حلل هذه التقنية ضمن الاستعمال الأخلاقي الجديد، إذ يقول إن تقنية المعلومات قوية جدا لأنها مرنة جدا، بمعنى أن قوتها في مرونتها، ومنطقيا توفر هذه المرونة قدرة على التكييف لتنفيذ أي مهمة مطلوبة.

إن تقنية المعلومات تعتبر أداة التغيير الاجتماعي، حيث أنها تندرج ضمن ثالث الثورات الأساسية التي مر منها التاريخ البشري والتي غيرت الخريطة النفسية والاجتماعية للإنسان، فقد عُرِّفت الأولى بالثورة الزراعية والثانية بالثورة الصناعية بينما توسم الثورة الثالثة بالثورة المعلوماتية أي ثورة الاتصالات التي مكنت الإنسان من تشكيل قناعات جديدة مشمولة بطرق جديدة للتفكير من مثل : العشق الالكتروني، التعليم الافتراضي، التجارة الإلكترونية، والديموقراطية الإلكترونية والجريمة الإلكترونية والجهاد الإلكتروني والمقاومة الإلكتروني.

أ) السؤال الأخلاقي و التكنولوجيا

إن الأسئلة العميقة التي طرحها استعمال التكنولوجيا كأداة أساسية بالثقافة الرقمية تتجه بالأساس إلى الأسئلة الأخلاقية التي تؤثر في معادلة السلطة منها :

- E-working

إن الخطاب الرقمي وهو يعمل على تسكيك مفاهيم مثل Teleworking

وE-working هذا المفهوم الذي أزال حدود الزمان والمكان من مفهوم العمل حيث أصبحت الشبكة العنكبوتية فضاء للعمل عن بعد، الشيء الذي أدى إلى التغيير في الأبعاد الاجتماعية لظاهرة العمل المكتبي، كما مس التغيير النظريات الاشتراكية التي أملت تمكين العامل من وسائل الإنتاج، فبدا أن التكنولوجيا الرقمية قد حولت بلوريتاريا الواقعي proletariat إلى بلوريتاريا الأنترنت pronetariat التي امتلك فيها العامل وسائل الإنتاج الرقمية.

- Cybermoney

لقد مس التغيير أيضا مفهوم "المال" (العملة الرقمية) حيث حلت العملة الإلكترونية (البيتكوين كمثال)مكان الشيك والفاتورة والأوراق المالية والعملة المعدنية.

إن هذا التحول من المنظومة السابقة إلى المنظومة التي تعتمد على الكروت الذكية و نقرة الفأرة و النبضة الإكترونية على شبكة الأنترنت.

إن مفهوم الثورة كما هو مفهوم المال قد غيرت تفاعل السلطة الأساسي المعتمد على المال تارة والقوة تارة أخرى، إذ حولت المعلومة والحصول على المعلومة عن طريق الشبكة العنكبوتية إلى

ثورة الحقيقية، والتي يمثلها الآن بيل غيتس الذي اكتسب ثورته انطلاقا من سيطرته على المعلومة والتقنية المرافقة لها.

إن مفهوما الفقر والغنى أخذا مقاسا رقميا أثر على إمكانية الفرد في مدى قدرته على الوصول والسيطرة على المعلومة.

- E-liberty

ساهمت الثقافة الرقمية عبر التكنولوجيا في التأسيس الرقمي لمفهوم الحرية والحرية الالكترونية على الخصوص ، وهو يتساءل عن القانون الذي يؤسس للحدود الإلكترونية، حيث تمر أزيد من 55 % من الرسائل الإلكترونية عبر سرفور الولايات المتحدة.

لقد توسعت الأسئلة الهادفة إلى تمكين الحرية السياسية في "الشبكة العنكبوتية" وخاصة انفتاح الحريات التقليدية، كحرية الصحافة وحرية الانتماء السياسي وحرية الاجتماعات...

- مفهوم المجتمع المحلي

استطاع الأنترنت إعادة تركيب البيئة المحلية وفك علاقات الجوار القريبة والقرابية، وقد مكن مستعمليه من تحقيق حاجاتهم السيكولوجية والمادية دون الحاجة إلى ربط علاقات على مستوى الواقع، فالأنترنت مكن الأفراد من التزود الحاجاتي عن بعد، حيث انتفت إكراهات الواقع والتنقل عبر المكان، تجاوز فيها الأفراد إمكانية التجاور الفيزيقي.

إن الشبكة العنكبوتية بمكوناتها: Pinterest -LinkedIn- Google- Twitter- Facebook- - Reddit وغيرها قد ساهمت في خلق مجتمع افتراضي كسر كافة الحدود ووسع من تواصل الأفراد فيما بينهم وذلك عبر المجموعات البريدية: غرف الشات، التراسل الإلكتروني (ياهو، جمايل، هوتمايل، ماسنجر، سكيب ...) المدونات، المنتديات.

وما يلاحظ على مجموعة الفايس بوك facebook التي ترجع إلى مستعملين عرب أنها تتداول حوارات غير هادفة وجادة، كما يتم فيها تداول المعلومات السطحية غير الموثقة والتي لا يمكن إعطاءها صفة المرجع.

- E-citoyenneté

سمح الإنسان ما بعد حداثي للتكنولوجيا أن تغير نمط عيشه، وحتى لو أراد الحد من هذا التدخل، فلا يستطيع منع انتشارها ومن ثم أصبحت معرفتها ضرورية وملحة نظرا لكون انبهارنا بها قد أخفى آثارها الواضحة على السلوك الثقافي اليومي للمواطن، فالتكنولوجيا تتسلل عبر وسائلها إلى الواقع الاجتماعي، إذ الاحصائيات الرسمية تقول بأن المؤشرات الدالة على تحول المجتمع لا يمكن إلا أن تدعمها الاحصائيات حيث تسارعت الإحصائيات في السنين الأخيرة حتى أن هذا الرقم

قد أصبح خاصا بالمغرب فقط حيث ارتفع عدد مستعملي الانترنت سنة 2011 وحسب إحصائيات رسمية أبريل 2011(المندوبية السامية للإحصاء بالمغرب) إلى حدود 10 ملايين مستخدم مغربي يشكل الإناث 55°/ والذكور 45°/ والعزاب منهم بنسبة 70°/ ، الأطفال منهم فقط يقاربون 2,5 مليون مستخدم بنسبة تتراوح بين 20 و25°/.

وتقول أحدث دراسة أعدها المركز الصيني للمعلومات حول الأنترنت، أن عدد مستخدمي الانترنت في الصين بلغ 137 مليون مستخدم نهاية 2006 من بينهم 104 مليون يستخدمون شبكة ذات سعة عالية، في حين تضم الولايات المتحدة210 مليون مستخدما ، ويتوقع مكتب " ريشيرش" طفرة في التجارة الالكترونية في الصين حيث سيص حجم الاموال المتداولة الكترونيا في المستقبل إلى ست مليارات دولار.

إن تكنولوجيا الاتصال أصبحت عاملا حاسما في تشكيل ثقافة الأفراد، من هنا يمكن القول بأن الثقافة أصبحت خاضعة لتكنولوجيا الاتصال.

3- التدين الرقمي religiosité numérique

-أ- الظاهرة الدينية على المستوى النظري

1) المدرسة الوضعية : علاقة الدين بالحداثة عند إيميل دوركايم

لقد تطرق إيميل دوركايم في كتابه" الأشكال الأولية للحياة الدينية إلى مسألة الإيمان وأدرج أبعادها بين قطبين مختلفين حددهما في مفهومي المقدس والدنيوي حيث قال " إن جميع أنواع الإيمان الديني المعروفة سواء كانت بسيطة أو معقدة تتمتع بميزة مشتركة، فهي تفرض ترتيب الأمور الحقيقية أو المثالية التي يتصورها الانسان في طبقتين أو نوعين متعاكسين يُعرفان عادة بتسميتين مختلفتين تعبّر عنهما كلمتا مقدس ودنيوي بشكل كاف" ([1]).

وقد دافع دوركايم عن فرضيته القائلة بشمولية المقدس بالرغم من أن هذين المفهومين /مقدس/ دنيوي/قابلان للتبادل وانشغال علم الاجتماع بهما الآن من داخل الواقع الافتراضي يعزز تداخلها وتباعدها ولذلك تمثل الشعائر الدينية "الالكترونية" الجديدة قواعد السلوك التي تحدد كيفية التعامل مع المقدسات.

ويظهر أن تعريف المؤمن عند دوركايم يستند من الناحية الديناميكية على الشعور الديني فقد قال: "إن المؤمن الذي اتحد مع ربه ليس مجرد انسان يرى حقائق يجهلها غير المؤمن، بل هو ذو قدرة أكبر على التصرف، فالمؤمن يشعر بمزيد من الطاقة لتحمل مشاق الحياة أو لقهرها، فكما لو

[1]- إيميل دوركايم " الأشكال الأولية للحياة الدينية"، منشورات PUF كارديج، سنة 1912، ص: 50.

أنه يسمو فوق البؤس البشري لأنه يسمو فوق وضعه كإنسان، فيَخال نفسه مُخَلَّصا من الشر مهما كان مفهومه للشر.

إن العامل الأول في أي إيمان هو الاعتقاد بالخلاص من خلال الإيمان"([2]).

ومن هنا يمكننا أن نفهم فكرة عدم استطاعة العلم محو الدين، العلم بما فيه تكنولوجيا الاتصالات الحديثة بل إن ما نلاحظه حاليا هو ما يقوم به العلم من دور في ترسيخ للدين، فيمكن للعلم أحيانا أن يقلل من وظائف الدين الإدراكية لكنه لا يستطيع الحيلولة دون استمرار الأفراد في التحرك نحو تلك الوظائف بدافع من إيمانهم الديني، وهذا ما تحقق على يد الأنترنت حيث أصبح " الإيمان" حثّا على التصرف، وأصبح المعطى الديني حاضرا في أي زمان ومكان ولم تعد الكنيسة أو المسجد أو المعبد يملكون حق بثّه والتحكم في كيفية ظهوره إلى المتدينين ولا أين ومتى يبوح الدين بأسراره حتى بات ما نراه عبر الأنترنت يُعد اختراقا لقدسية الرموز الدينية التي اختير لها سابقا متى تظهر لتحدث ذلك التأثير وذلك الشعور بالاطمئنان والراحة النفسية، ولهذا فالنقر على صفحة الأنترنت لكي تظهر المعلومة يحيل بفعل التكرار ماهو شاد لدى القارئ معقولا لدى الأنترنوت، ويتحول العجز بفعل التكرار عاديا وسويا حيث لا يتطلب الواقع الافتراضي استدعاء ما تمثله الرموز الدينية من سلطة المؤسسة الدينية. وبذلك يحقق التعامل مع العوالم الافتراضية على المستوى التعبدي رغبة لا واعية في الخلاص مما ترمز إليه الرموز الدينية أو ما تستدعيه من صور ذهنية مرتبطة بفضاء الكنيسة والمسجد والمعبد وسيطرة المكان كما هو مبثوث في مخيال الشعوب، وبذلك يكون الأنترنت المنزلي قد جرد الطقوس من معانيها المجردة، وقرب الفقيه والقسيس والحاخام من جمهوره ومريديه فتصبح الخطب الوعظية والتبشيرية والإفتائية غير ذات مفعول مباشر لمتتبعها عبر الأنترنت نظرا لضعف الانخراط الكلّي للمؤسسات الدينية في العصر الرقمي من حيث استفاذتها من تكنولوجيا الاتصالات بشكل واسع يسمح لها بالوصول إلى المتدين الافتراضي باعتباره منتقدا ومتمردا ومتفتحا على مجمل الخطابات الإيمانية لكل الأديان السماوية وغيرها ويصعب إقناعه لتصبح بذلك مسألة الإيمان مرتبطة بالمُقنِع والمبشر أكان فقيها أو قسيسا أو حاخاما وليس لها علاقة أصلا بجوهر الدين ذاته بقول توم بيودون –عالم كاثوليكي ديني- في كتابه "الإيمان التخيّلي" الصادر سنة 1998 يقول:" الانترنت دعوة للناس الشكاكة لتلقي كافة الإجابات عن أسئلتها الدينية التي يريدون بها استكشاف جوهر الدين" وتلتحق فئات عديدة كانت مُبعدة عن ممارسة الطقوس الدينية إلى اعتناق ديانة " الأنترنت " التي ساهمت في وصول الدين

[2]- نفس المرجع السابق، ص: 595.

إلى بلدان وفئات عديدة كان الوضع الواقعي للمؤسسات الدينية يمنعها من دخول الكنائس والمساجد والمعابد مثل فئة المثليين الجنسيين والسحاقيات وغيرهم....

* الدين والتقانة، أية علاقة.

لقد حافظ المنظور السوسيولوجي مع إيميل دوركايم على تألقه فيما يتعلق بإشكالية الدين والحداثة ، فقد لاحظ دوركايم أن مختلف أشكال تراجع الدين في المجتمعات الغربية الحديثة ترجع بالأساس إلى عوامل عدة منها:

- فقدان الكنيسة لسلطتها الدنيوية وفصلها عن الدولة.
- تقوقع الجماعات الدينية وانحصارها في جماعات ذات التوجه التطوعي.
- فشل المؤسسات الدينية في جعل المؤسسات المدنية تطبق القواعد الخاصة بالتدابير التدنيسية.
- فشل هذه المؤسسات في مراقبة حياة الأفراد.
- عدم قدرة الكنيسة على إنتاج نخب مثقفة.

اتضح إثر ذلك أن المجتمع في حاجة إلى الدين، وهو بدوره يحتاج إلى التطور من أجل مواكبة المجتمع الحديث وبذلك فهو يحتاج لتجديد نسيجه إلى العلم الشيء الذي يجعله في ركاب التغيير الاجتماعي الذي يعمل بدوره على إحداث إمكانية جماعية لخلق مثل عليا جديدة ، فالدين بهذا الاعتبار يخضع للتحويل بسبب الأزمة التي تقع للمجتمع في المُثل العليا التي تعمل على تفكيك الروابط الاجتماعية.

وقد تفهم دوركايم مدى التناقض بين العلم والدين حيث قصور العلم عن الإجابة على الأسئلة الوجودية التي مازال الإنسان يطرحها على وجوده ومكانته في الكون، واستنتج أن المجتمع الحديث سيصبح عنصرا أساسيا في مجتمع المستقبل. وبذلك نستنتج مع دوركايم أن العلم سيصيب المجتمع بإحباط كينوني وهووي سيعود به بقوة نحو الدين الذي سيستمر متجددا كبديل وظيفي معبِّر عن نفسه داخل بناءاته الوظيفية بكيفية رمزية واستعارية، ولهذا ستصبح ديانة المستقبل كحامل للقيم الانسانية السامية خارج المؤسسة الدينية لا تحتاج لأي فضاء تعبُّدي ولا لأي تنظيم مؤسساتي .

2) المدرسة الفينومينولوجية: الجاذبية الشعبية للدين عند ماكس فيبر

حدد ماكس فيبر Max weber / مابين 1864م 1920/ الدين كنوع خاص من التصرف في المجتمع ، ويتضمن المجال الخاص بالنشاط الديني تنظيما لعلاقات القوى "الخارقة" مع الإنسان .

وقد استخلص فيبر نتيجتين في تعريفه السوسيولوجي للظاهرة الدينية على محاولة لتعرية العالم من سحره الخاص :

- النتيجة الأولى:

في كتابه" الاقتصاد والمجتمع" خلص إلى الآراء النظرية المختلفة التي تقترب بشكل كبير من الخطابات الدينية من حيث مزجها للمصالح الدينية مع المصالح الموجهة إلى الحياة الآخرة حيث قال:" إن الأشكال الأولى من التصرف الذي تدفعه عوامل دينية أو سحرية موجهة نحو العالم الدنيوي فينبغي تحقيق الأعمال التي يوصي بها الدين أو السحر بهدف تحقيق السعادة والعمر المديد على الأرض"([3])، من خلال هذه المقولة يرى ماكس فيبر من خلال هذه النتيجة أن الدين متعلق بالحياة الدنيا وإن أشار ولو بشكل غير مباشر إلى أي نوع من أنواع الحياة الآخرة.

- النتيجة الثانية :

رفض فيبر تعريف الدين باللامعقول في قوله:" إن الأعمال التي يشكل الدين أو السحر حافزا لها هي أعمال منطقية أو منطقية نسبيا"([4]).

ولقد شكلت مقاربة المدرسة الفينومينولوجية ومن إعادة النظر في العقيدة الثقافية وتشكيل عقلانيتها انبثاق العصرية التي لعبت فيها عقلنة الدين دورا أساسيا. إن ماكس فيبر يركز في جل استنتاجاته لمقاربة الظاهرة الدينية على ميزتين أساسيتين متعلقتين بكون الدين ظاهرة اجتماعية على :

- الرابط الاجتماعي الذي يولده الدين.
- نوع السلطة التي يسمح بها.

وقد فرق فيبر بين "الكنيسة" و"الطائفة" باعتبارهما شكلان من أشكال وجود الدين الاجتماعي، فالأولى تمارس السلطة عبر وظيفة الكاهن حيث يولد الشخص عضوا في كنيسة.

ويعتبر الدين بدعم من الأنترنت حقلا معلوماتيا سيعمل على خلق كيانه الرمزي الخاص، وسينتقل الدين من اعتباره ذو أهمية اجتماعية ثانوية إلى خلخلة المعتقد الفلسفي الذي اطمأن إلى النتيجة التي كانت تؤطر هذا التقليص من دور الدين في المجتمع باختفائه التدريجي أو تصفيته في فترة زمنية محددة متى انبثق المجتمع المعاصر. أما اليوم فقد أثبت العصر الرقمي خطأ توقعات كارل ماركس فيما يخص الحكم بالنهاية الوشيكة للدين باعتباره أفيونا للمجتمع، وقد قال ميشال

[3] - ماكس فيبر" الاقتصاد والمجتمع I ، بلون ، باريس ، سنة 1971، ص: 429.

[4] - ماكس فيبر، نفس المرجع، ص : 429.

برتران في هذا الشأن ما يلي :" في حال لم تكن قواعد الشعور الديني كلها ذات جذور اجتماعية فإن فرضية بقاء الدين "كنوع من أنواع الوعي ليست مستبعدة" ([5]).

أما ألكسيس دو توكفيل فقد اكتشف الحيوية الدينية الكبيرة في المجتمع الأمريكي والتي تخالف القول بتراجع الدين مع انبثاق المجتمع العصري الديمقراطي.

فقد أشار في كتابه "الديمقراطية في أمريكا" إلى العلاقة الوطيدة مابين الدين والسياسة عندما قال:" إنني أشك في أن يقدر الإنسان أبدا احتمال استقلال ديني تام وحرية سياسية كاملة في آن واحد، كما أنني أظن أنه إذا لم يكن الفرد مؤمنا فينبغي عليه أن يخدم وإذا كان حرا ينبغي أن يؤمن"([6]).

- نموذج لتحليل النسق:. السيانتولوجية Scientologie

السيانتولوجية Scientologie ديانة معاصرة أسسها رون هابّرد -Ron Habbard /1911 1986/ عام 1954 انطلاقا من الديانتيكية Diantique وهي علم مداواة يسمى "العلم الحديث في الصحة العقلية" ويتناول الأمر علاج نفسي عارضته سنة 1950 جمعية علماء النفس الأمريكيين وتحول إلى دين .

وتستند المفاهيم السيانتولوجية Scientologie على خلفيات فلسفية تقول : قبل خلق الكون كانت هناك أرواح مطلقة المعرفة وخالدة تدعى التيتان THétans /ليس Titansفي الميثولوجية الإغريقية/ وللإنسان أصل روحي فهو تيتان في جسد أو تيتان سبق وعبر خلال ملايين الكينونات الإنسانية، ولهذا فالإنسان عبرها مدعو إلى "التحرر" كي يصبح تيتانا كاملا، أي أن يستعيد التيتان الذي يسكنه، حريته وإبداعه.

وتمزج السيانتولوجية بين نظرية علم النفس-حيث يتم مقارنة النفسية بالكمبيوتر-، وطريقة تطوير ذاتي وتكنولوجيا معينة كاستخدام آلة تدعى إلكترومتر لتحسس الدفعات العاطفية. كما تمزج بين فلسفة دينية تتناول الخوارق أكثر من الإلهام.

ومن مظاهرها أنها تقدَّم على أنها علم، ومن الممكن التحقق من صوابيته بالتجربة وقد وصفها النقاد ب "البوذية التكنولوجية".

فللكنيسة السيانتولوجية زبائن أكثر ممّا هم أتباع، وما يثير الاهتمام هنا هو أن ممارسي السيانتولوجية هم أشخاص أثرياء لهم مكانتهم في المجتمع ،تسمح لهم هذه الديانة الالكترونية بانتماء ديني مواكب.

---

[5] - ميشال برتران" وضع الدين من منظار ماركس وأنجلز" باريس ، منشورات سوسيال، سنة 1971، ص : 184-185.

[6] - أليكسيس دو توكفيل" الديموقراطية في أمريكا" 2 منشورات VGE 10/18 ، ص : 229.

-ب- مستوى العلاقة التفاعلية بالدين رقميا.

يسيطر على المشهد الرقمي الإقليمي والجهوي بروز ما يمكن تسميته بالدين الرقمي، فالدين باعتباره ظاهرة سوسيولوجية لا يمكن إلا أن يتفاعل مع العصر الرقمي لما يحتوي عليه من إمكانيات التحول بحيث عزّز من تغلغله في المجتمع بواسطة الإمكانات المتاحة للأنترنت فأصبحت الشبكة العنكبوتية تحتوي على بث الطمأنينة الافتراضية التي كانت من وظيفة الكنيسة والمسجد والمعبد، فشهد بذلك التدين الرقمي أشكاله الخاصة من الإيمان الافتراضي والجهاد الافتراضي والتعبد الافتراضي، من أجل الإشباع الحقيقي للسلطة الدينية وهذا ما أكده البابا جون بول الثاني عندما صرح بأن الكنائس ومجموعات الإيمان التي ترفض التكيف مع عصر الاتصالات الالكترونية لن تبقى على قيد الحياة". ولهذا يمكن طرح السؤال على ماهية تكنولوجية الأديان أو فحوى الديانة الالكترونية.

إن الحديث عن الدين لابد أن يقودنا إلى مقاربته على المستوى الاجتماعي، لمعرفة طبيعته والإمكانات التي تجعله قابلا للتعامل مع وسائل الإعلام- الإعلام السمعي البصري- إعلام الكيبل والفضائيات، وإعلام الويب والأنترنت. تميزت الظاهرة الدينية على الأنترنت واتسمت بعدة سمات كان مجملها يشير إلى ضعف التأثير المباشر للفضاءات التعبدية وارتفاع المؤشرات التي تجعل من تسويق الدين إحدى الوسائل للانتقال من الوجود الواقعي إلى الوجود الإعلامي والافتراضي حيث يتم تمثل الدين المعاصر وتجسيد حضوره في رموز وقيم خاضعة لمنطق السوق العولمي الذي يشهد اكتساحا منقطع النظير لسلع ذات السلع الإيمانية من كتب وشرائط كاسيط واسطوانات مدمجة وبرامج وفيديو تحتوي على قصص تعليمية لقصص الأنبياء بالإضافة إلى كل ما يحتاجه الإنسان المسلم في حياته اليومية من ألبسة للحجاب والحج والعمرة وما يحتاجه المؤمن من بطاقات دينية رقمية للمعابد ورنات المديح النبوي للهواتف النقالة وأيقونات، الشيء الذي يؤكد بالملموس أن الدين قد عاد بقوة إلى سياق الحياة الاجتماعية وأصبح توظيفه اليومي مباشرا ومواكبا للأجواء الدينية والدنيوية للأسرة حيث يشكل الواقع الخائلي حالة من الاندماج والتفاعل الكامل مع الدين الافتراضي بنفس المنطق من حيث الالتزام بالسلوك التعبدي دون الشعور به كعالم مصنوع، وذلك راجع لاعتماد العوالم الافتراضية في صدمتها الالكترونية على تفاصيل دقيقة تثير نفس المشاعر كما في الواقع عند الأنترنوت بخلق حالة التواجد الحميمي أمام الحاسوب والتأثر بحقائقه والتشبع بيقينيتها.

لقد رصدنا مستويين للتعامل مع الظاهرة الدينية:

المستوى الأول:

هذا المستوى منتشر بالعديد من المواقع ذات الطابع الديني، يحدد الظاهرة الدينية عبر النصوص الدينية المقدسة وهو ما نسميه بالدين النصي الرقمي، وهذه المعالجة أقرب ما تكون للأعمال الفقهية المعتمدة على الشرح والتأويل.

المستوى الثاني:

يقارب هذا المستوى الظاهرة الدينية انطلاقا من الممارسات اليومية للمجتمع أفرادا وجماعات سواء على المستوى الطقوسي أو المعاملات الحياتية، ويرتكز هذا المستوى على التحليل السوسيو. ثقافي ولا يلتفت للأعمال الفقهية، وقد ظهرت معه عدة مفاهيم جديدة كالجهاد الرقمي الذي نُحت في التسعينات من القرن الماضي وهو مفهوم تقليدي ارتبط بالمستوى الأول وبفئة من المسلمين المغتربين بدول الشمال من أجل مساندة مسلمي الشيشان والبوسنة، أما الجهاد الرقمي المرتبط بالمستوى الثاني فظهر سنة 2000 وكان المقصود منه هو القرصنة الالكترونية بين الإسرائيليين والفلسطينيين وخاصة مع الشروع في المرحلة الثانية للانتفاضة الفلسطينية (مرحلة المقاومة الإلكترونية).

*نموذج لتحليل النسق: ديانة الشات

سأنقل هنا إحدى القصص الحقيقية /مأخوذة عن موقع صيد الفوائد/ لفتاة أسميتها بفتاة الشات[7] وتسرد فيها قصتها مع الانترنت وهي تستعمله للتعرف على الجنس الآخر، وسأحاول أن آخذ منها الجزء الذي يخدم هذا المبحث فقط بالرغم من أن القصة حابلة بعدة حقائق صادمة على المستوى السوسيولوجي:

هذه الصورة التي تمنحنا إياها هذه القصة/ فتات الشات/ تحتوي على وجود علاقة افتراضية تحولت إلى علاقة واقعية، وما يهمنا هنا هو استيعاب النماذج السلوكية التي كانت تحدث بين الشابين على المستوى الخائلي وخاصة كيف اسُتغل الدين في هذه العلاقة من قولها " كان يعلمني تعاليم الدين، ويُرشدني إلى الصلاح والهدى، وكنا نُصلي مع بعض في أحيان أخرى، وهذا طبعا يحصل من خلال الانترنت"، وسأستدعي هنا بعض التساؤلات التالية:

- هل يمكن القول بأن الانترنت هو سبب تدني الأخلاق التي لمسناها في هذه القصة؟

- هل يمكن أن تُصلَّى صلاة الجماعة عبر الانترنت ويتم تحدي الزمان والمكان؟

[7]- أنظر قصة فتاة الشات بالملحق.

- هل ستبقى نفس التراتبيات التي تشهدها المساجد فيما يخص المكان الذي تصلي فيه المرأة في أي خلف الرجال؟

- أين ستقف المرأة في صلاة الانترنت ، أمام الشاشة أم خلفها؟

إن ما وقع في هذه القصة ليس غريبا في الانترنت فقد أصبحت الصلاة تُبثُّ على شبكة الانترنت ويمكن المشاركة فيها دون الانتقال إلى أماكن العبادة ذاتها، فقد مكّنت مؤسسة لوريس للاتصالات أتباع الديانة المسيحية من أن يتابعوا عبر شاشة ضخمة من نوع ويبكام حفلا دينيا بمناسبة نهاية سنة 2006، كما قدم الأتباع تقديم واجب الصلات والمشاركة فيها بإرسالهم بريدا إلكترونيا يُبلِّغون فيها المؤسسة الدينية المتلقية بأنهم تابعوا الصلاة.

أما ما يتعلق بفتح حدود الفتوى الفقهية فمن شأنه أن يدفع بالمؤمن إلى الالتجاء إلى فتاوى أنترنينية لفقهاء بلدان نائية عن موطنه الأصلي واختيار ما يلائم توجهاته في تحد واضع لسلطة الفقه المحلّي. الشيء الذي دفع بعض شيوخ الوهابية إلى تحريم التليفون المزود بكاميرا، واستخدام المرأة للأنترنت بدون محرم وغيرها، بينما تخطت الاجتهادات والتأويلات المعاصرة التفسير القديم لتحريم الصورة والتعامل معها.

4- الإبداع الرقمي الأدبي -الثقافي

إن النص التفاعلي الرقمي منتوج عبر الوسيط الإلكتروني للإبداع الرقمي يسمح للمتلقي بالتدخل في إنتاج النص وإعادة صياغته والتعديل في بنيته، فالنص الرقمي نص لا خطي تتيح له وسائطه المتعددة وتقنية النص المتفرع Hypertext أو النص السيبرني Cybertext أشكال التداخل في بنية النص، تداخل بداية النص بنهايته.

إن النص الرقمي يستغل كل التقنيات التي توفرها الأجهزة الإلكترونية من العنصر السمعي: الموسيقي والعنصر البصري اللوني . التشكيلي، حيث أدى تضافر هذه المستويات إلى تشكيل لغة قائمة بذاتها يتشاطر فيها المتلقي ويُفهم النص من خلالها.

هذا وإن الحداثة التي تنتجها أدوات التكنو- ثقافة تخوض غمار ثقافة المشاركة عوض ثقافة الفردانية، إذ حددت الثقافة الرقمية معالم هوية جديدة عبر إيلائها الاهتمام بالنص العابر للهوية والاقتصاد العابر للقارات.

فالتحول من الحالة الواقعية إلى الحالة الرقمية والإلكترونية غير من أنماط العيش التقليدية، فاتسمت الثقافة الإلكترونية بتشظي المراكز وتعويم الهوامش بالفائض من المعلومة.

ومن ثم أصبح لخطاب الثقافة الإلكترونية مبادئ وملامح وأخلاقيات، إنه يتشكل في خضم ثورة قطعت أكثر من 400 سنة، تطورت من ثقافة كلاسيكية إلى رومانتيكية إلى واقعية إلى حداثية ثم إلى ما بعد حداثية- إلكترونية.

ركزت الرومانسية على جمال الطبيعة والإنسان وشجعت على التأمل فيها والبحث عن معاني أن تكون إنسانا وجزء من الطبيعة.

وقد مالت الثقافة الواقعية إلى نحو المنطق والعقلانية بينما تساءلت موجة الحداثة عن ماهية الحقيقة وتمردت على الطبيعة كما مالت ما بعد الحداثة إلى النظرة التشاؤمية فثارت على نظرية الديمقراطية والليبرالية وتساءلت حول هل كل ما نراه حقيقة ؟

يقول لورد. س. أريز (المدير العام لليونيسكو لشؤون الثقافة "الثقافة بحكم طبيعتها تفرض التهميش والاختزال، ولا يمكن لها أن تكون مجرد عامل موازٍ لعملية التنمية التكنولوجية كما هي الحال عادة ."

وإن لم تجب "ما بعد الحداثة" عن الأسئلة التي طرحتها بسبب بعدها عن قضايا الحرية والعدالة فقد نادى الجميع مثل : آلان كيربي في دورية "الفلسفة الآن" "ماتت ما بعد الحداثة. ونحتاج الآن إلى ما بعد بعد الحداثة، نحتاج إلى فكر جديد يناسب التقدم التكنولوجي، والعادات الاجتماعية الجديدة، يقول نعوم تشومسكي في هذا الاطار: "ما بعد الحداثة هي جهل بكل شيء، ولهذا لا تعني أي شيء، ولهذا لا تقدر أن تفسر أي شيء. فكيف يفسر من لا يعلم ؟"

إن الخطاب الثقافي الرقمي يرى نفسه عبر آلياته التكنولوجية خطابا جادا يميل نحو التفاؤل وهو يتجه نحو النمط الليبرالي من علاماته الثقافية الفارقة، ظهور موقع اليوتوب YouTubeشرائط الفيديو وموقع FaceBook الاتصالات الاجتماعية (أزيد من 500 مليون شخص مشترك في الموقع الاجتماعي فايسبوك يتكلمون أكثر من 100 لغة) كما صار محرك بحث google ودائرة المعارف ويكبيديا من أعمدة هذا الخطاب الثقافي الذي لا يحتوي على مركز وهامش بل على سيرفور جعل من العالم حلقة صغيرة للاتصال.

إن أي ظاهرة أدبية لابد لها في البداية أن تنحث مفاهيمها ومصطلحاتها تعبيرا عن حيويتها داخل جسم النظرية الأدبية، وما تعدد المفاهيم وأحيانا اضطرابها إلا دليلا على هذه الحيوية، مما يعطي لموضوع الظاهرة نفسه صفة التداول والتعيين.

هنا لابد من رصد كم هائل من المفاهيم الجديدة في بنية اللغة العربية ولغات أخرى التي تتشكل وهي تتداخل فيما بينها أحيانا وتتقاطع أحيان أخرى، نجد منها: نص رقمي، شعر رقمي، سرد رقمي، رواية رقمية، نص متفرع، أدب افتراضي، نص افتراضي، نص متعالق، نص تشعبي، نص ترابطي،

نص تفاعلي، أدب الكتروني، نص نتّي، كتابة انترنيتية، نقد تفاعلي، كتابة رقمية، ثقافية رقمية، كتابة تفاعلية كتابية ترابطية... إلخ.

إن مصطلح الكتابة الرقمية الذي نقترحه هنا يقف على حقيقة أن النص الرقمي يعتمد في أشكال تجليه الابداعية والقيمة والجمالية والتواصلية على متغير أساسي، يأخذ من الخطاب التكنولوجي حيزا معرفيا وانطولوجيا لا ينفك عنه، مما يجعلنا نطرح عدة تساؤلات منها :

- هل الربط بين الكتابة الرقمية والتكنولوجيا حتمي؟
- هل يمكن تصور إبداع رقمي خارج هذه العلاقة ؟.
- أين تتجلى إبداعية الوسيط التكنولوجي بما هو الحاسوب والانترنت والبرمجيات، هل في إنتاج النص أم تلقيه؟
- هل يفترض في الكاتب الرقمي إلمامه التخصصي في مجال المعلوميات والبرمجيات؟
- أيمكن إدراج مهندس الإعلاميات ومبرمج الحاسوب ضمن الكتاب الرقميين؟.
- من يضفي الشرعية الرقمية على النص: أهي نظرة ورؤية المبدع أم رؤية المهندس الإعلامي؟
- ما هو التصور الحقيقي لمفهوم الكاتب الرقمي؟.

1-من مفهوم النص الرقمي إلى مفهوم الكاتب الرقمي

النص الرقمي هو نص أدبي ينشر نشرا إلكترونيا سواء كان على شبكة الإنترنت، أو على أقراص مدمجة، أو في كتاب إلكتروني، فهناك النص الرقمي ذو النسق المحايد الذي لا يستفيد من تقنيات الثورة الرقمية مثل تقنية النص المتفرع الهايبرتكست، أو المالتي ميديا المختلفة من مؤثرات صوتية وبصرية فهو نص عادي قد يُنشر في كتاب ورقي عادي، واكتسب صفة الرقمية لأنه نشر بعد ذلك نشرا إلكترونيا.

كما أن هناك النص الرقمي ذو النسق الفاعل: الذي ينشر نشرا رقميا في إصداره الأول، ويستخدم التقنيات التي وفرتها الثورة المعلوماتية والرقمية: الهايبرتكست Hypertexte ، والمؤثرات السمعية والبصرية ، فن الأنيميشنز والجرافيك L'art de l'animation et du graphisme وغيرها.

وإذ لا يمكن أن نتصور أي نص على شبكة الانترنت نصا رقميا، لايمكن أن نتصور أن كاتبا يمتلك جهاز الحاسوب ويشتغل عليه مرتبطا بصبيب الانترنت أن نطلق عليه جزافا كاتبا رقميا، ولو كانت التسمية في بداية الثمانينيات تنحو إلى هذا المعنى.

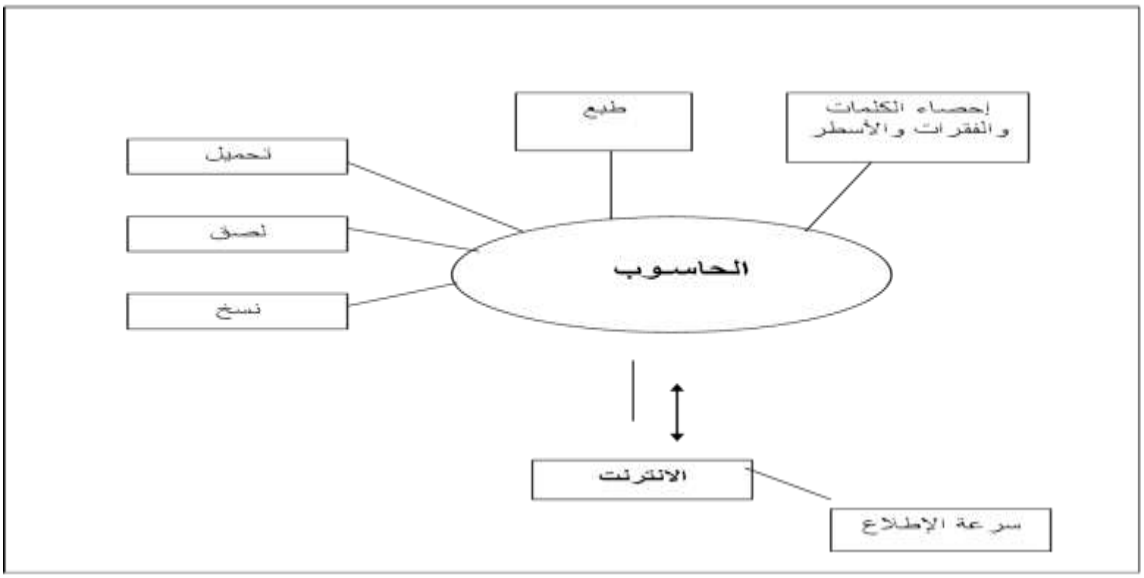

أما وقد راكم الزمن الرقمي تجربة محترمة بعد أن التحق بالقارة الافتراضية عدد من الأدباء والأديبات، فما يحقق شرعية الانتماء إلى الكتابة الرقمية يتعلق بأفق الرؤية التي يتغير فيها الواقع بمنظار تلك الوسائط.

- فما هو مفهوم المبدع الرقمي؟
- هل ارتباطه بالمعلوميات ضروري؟ أم بأشكال التماهي مع العالم الافتراضي؟
- هل هناك سبيل إحلال العالم الافتراضي مسكنا آخر للتمثلات؟.
- هل المسألة كلها عبارة عن دربة على لغات البرمجة في مجال الإعلاميات وهندستها؟.

ولاشك أن الوضع الاعتباري للكاتب الرقمي بات يختلف عن نفس الوضع الاعتباري للكاتب الذي نحث صورته مع الورق، نظرا لكون الذهنية القارئة على الورق كانت تضفي نوعا من السلطة الرمزية على كل ما هو مكتوب ضمن نسق ثقافي عام مشمول بتقديس الخط. إن المكتوب يشكل ثبات نمط ثقافي بما هو حامل لأنماط الوجود الرمزية الذي يحقق إسنادات Attribution واقعية تتسلل إلى التمثلات عبر اللغة المكتوبة في أشكالها الحوارية والوصفية والتعبيرية والرمزية.

-فهل يتأثر مفهوم الكاتب الرقمي بحالة المواضيع الجديدة التي تحاور رموز الزمن الرقمي؟

لقد أصبح للأشكال المضمونية التي تنتجها الرقمية عبر إسناداتها الالكترونية (البريد الالكتروني: الياهو، الماسنجر، Skype اسكايب، الهاتف المحمول، SMS، MMS، أيقونات الشات chat، زوم zoom، غوغل ميت google meet...)، قوة في المجتمع الالكتروني المعاصر، بل ارتقت هذه الإسنادات إلى إنتاج أساطيرها ورموزها، إن المعلومة الرقمية تأتي إلى المتلقي متلفعة بوسيط غير محايد وإن كانت أشكاله تبدو محايدة.

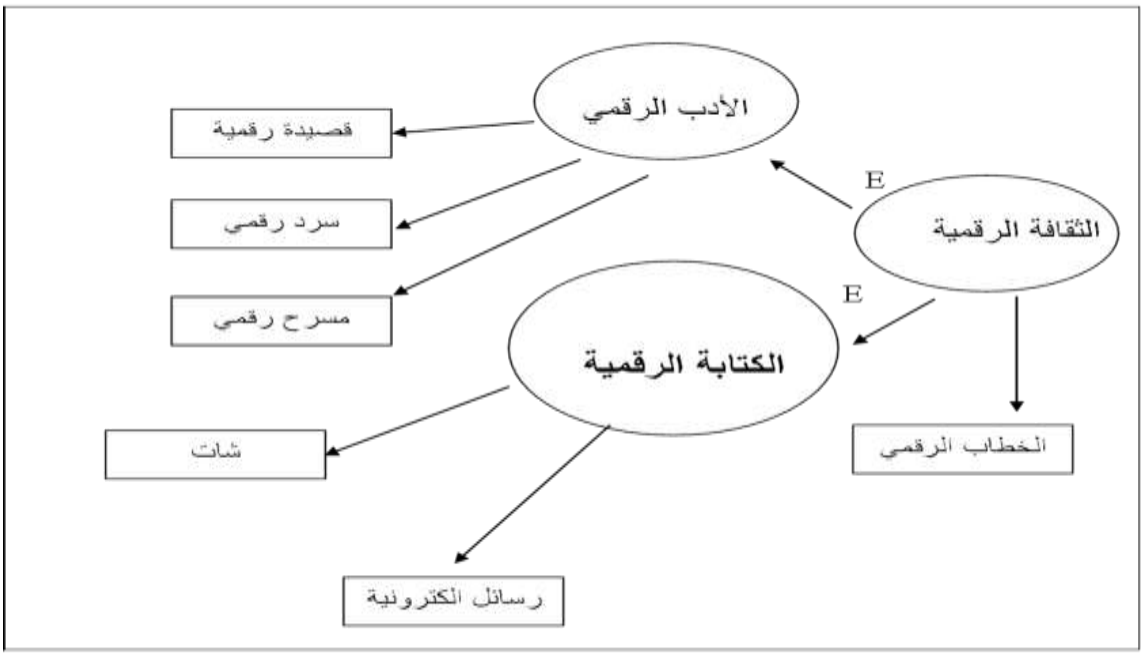

إن هذه الوسائط تعمل متسللة إلى المضامين عامدة إلى تدميرها، فالحب مثلا جاءنا سابقا إلى الدلالة عبر كل الأشكال التواصلية: الحجر، اللوح، الورق، وكانت هذه الوسائط حوامل أمينة للثقافة العشقية وتقترب محتوياتها من عالم التمثلات، أما تيمة الحب الافتراضي وبما تستدعيه وسائطه تجعل أيقوناته تلخص كل الشحنات العاطفية وتعكسها على شكل فلاش متموج وبراق.

وتجعلنا هذه الرموز الجديدة، التي استطاعت أن تلخص العواطف الإنسانية، نفكر في ماهية تمثلاتنا ومدى مقارنتها بالعوالم الافتراضية وما تحيل عليه.

- فما هي حقيقة الكاتب الرقمي؟

2-الكاتب الرقمي: مؤلف – ناشر

إن الكاتب الرقمي يشتغل ويعبر عبر الوسائط الالكترونية متصلا بصبيب الشبكة العنكبوتية Internet عن العواطف المتعددة التي أنتجها المجتمع المستعمِل لتلك الوسائط. إنه يعبر بالأيقونات ومندمجا ببلاغة الرقمية عن معيش عصره. إن الأشكال التعبيرية النتّية تختصر عالمنا إلى أيقونات ورموز، ولا يمكن لهذه الصيغة التواصلية إلا أن تكسر زمن السلطة التي كانت تتمتع بها اللغة وهي تصول داخل المكتوب الورقي، فتنقل لنا الحالات الانفعالية المبثوثة في الخطوط وأشكالها، كما بين السطور وعلامات الترقيم.

ولهذا فالدخول إلى العالم الافتراضي يختلف كليا عن الدخول بين دفتي كتاب، نظرا لاتساع الحقل الرمزي والمعرفي على شاشة السيليكون، من حيث أن التواصل الافتراضي يشكل تواصلا

عموديا يسير في اتجاه أن تكون لكل فرد حضارته ونسقه الخاص، ولهذا فعالم المعنى الافتراضي يأتي بعيدا عن المركز الذي تأتي معه الحقيقة متشظية. والمعلومة تأتي بدورها بدون مرجع، والرموز متداخلة وقابلة لأي تأويل، إن العالم الافتراضي يساهم في خلق العالم بدل تفسيره، فهو يمنحنا الوهم بامتلاك الحقيقة في حين أن ما نعتقده أصلا فهو شكل من الأشكال المتعالقة التي تحيلنا إلى أصول أخرى مرتبطة بما هو نسبي، ففي النص المتعالق Hypertext لايمكن الحديث عن البداية الأولى دون إلغاء مفهوم النهاية، وهذا بدوره يشكل أحد أهم مفاهيم هذا النص الذي تهدَّم فيه منطق الحضور، وبالتالي فتح إمكانية مغادرة أرض الكوجيطو Cogito حيث ينفتح الفكر على ما هو مستبعد وغير مفكر فيه "أنا أفكر حيث لا أوجد."

إن العالم الافتراضي يفرض بحكم نسبة واقعه وجود جنة للتأويل تنوجد من الرموز أكثر مما توجد من الحقائق.، من هنا ندرك التناقض الحاصل بين العالم الذي يقدسه الورق، والعالم الذي يشكل إواليات العالم الافتراضي، من حيث أن المعنى ذاته انخرط في هذا الرهان الذي يجعل الأصل في المعنى هو التعدد، رهان يحول الأسئلة الضرورية لوجود الحقيقة إلى تهافت تأويلي، إلى شظية فقط.

إن مفهوم الكاتب الرقمي محكوم بالمتلقي الأنترنوت، وقد شكل محرك البحث "غوغل" وغيره عجينة هذا الكاتب من خلال ما تكشفه عدادات زوار المواقع، ودرجة تلقي المعلومة التي تحيل بدورها على الكاتب من خلال هذا محركات البحث.

إن مفهوم الكاتب الرقمي محكوم بالمتلقي الأنترنوت، وقد شكل محرك البحث "غوغل" عجينة هذا الكاتب من خلال ما تكشفه عدادات زوار المواقع، ودرجة تلقي المعلومة التي تحيل بدورها على الكاتب من خلال هذا محركات البحث.

3-النص الرقمي: السمات البنائية بين الخطية والتشعبية

إن الأدب التفاعلي ينشئ سماته الأساسية من حقل التلقي، فحقيقة أن مستويات القراءة تختلف بين متلقي عادي غير مختص ومتلق جامعي يبني قوته انطلاقا من مستويات نقدية أكاديمية. لكن درجة التفاعل الذي يمكن أن يحققها نص رقمي باعتباره منتوجا ضمن وسيط جماهري هي شكل مصداقية المعلومة، لما لها من دور في تأسيس وتربية ذوق المتلقين. فالنص الرقمي على الشبكة يعيش من أجل الآخر المتلقي الذي يفتح مغالق النص بمساعدة مؤلفه باستمرار، ويسمى هذا النص بالترابطي Hyper Fiction وهو نص يستخدم النص التشعبي، وباقي المؤثرات الرقمية الممكنة، يكتبه كاتبه ويحتوي على امكانية داخل النص تسمح للمتلقي بالاختيار بين التنصيصات السردية المختلفة التي يتركب منها.

كما أن هناك نوعا آخر يعرف باسم النص التفاعلي interactive fiction وهو نص يستخدم النص التشعبي أيضا ، وباقي المؤثرات الرقمية الممكنة، ولكن يكتبها أكفر من كاتب ، أي يشترك في كتابتها عبر النت عدة مؤلفين ، وتكون مفتوحة لتفاعل المتلقين في كتابتها.(انظر النص التفاعلي المشترك المنشور رقميا بمنتدى أقلام تحت عنوان" الرواية- الأقصوصة : لا أدري للقاصين: عبد النور إدريس ووفاء الحمري([8]).

قد يحكم ناقد مختص على نص أدبي منشور رقميا بالابتذال، لكن منطق هذا النص قد يحقق نجاحا باهرا على مستوى تلقيه ودرجة تفاعل القراء معه. هذا التفاعل زكى أطروحة "موت المؤلف" (م. فوكو1967 م)، فموت السلطة النقدية ابتدأ بهذا الانمحاء إلى درجة أننا نجد بعض النصوص ونظرا لدرجة تفاعل المتلقين الحميمي معها يدفع البعض لنقلها بمواقع ومنتديات عديدة وبأسماء مستعارة لا يستطيع أن يحيل على الأصل فيها سوى "غوغل" الذي يوثق لسلطة المرجع. فلا عجب أن تجد نصا رقميا وهو يعدد تواجده الشبكي تحت أسماء مستعارة مثل: فارس الليل، شاطئ الفجر، شهريار...

فسلطة المرجع التي يدعمها محرك البحث "غوغل" تحيل النص الرقمي على ناشر واقعي أول على المستوى الزمني، ولا عجب أن يسود بين الباحثين والأدباء الآن التصور التوثيقي للنصوص مبتدئا من الانترنت والتواجد بين صفحات الويب.

إن ذاكرة النص الرقمي على الشبكة أقوى من أية ذاكرة سبقته، فهو لا يمكن أن يضع نصب عينيه مقابله الورقي، كما أن الكاتب الرقمي لا يستدعي بالضرورة "الكاتب الورقي" لمقابلته وتحديده، إن هذا التقابل غير مؤسس إلا بما تمليه ضرورة اللفظ، إلا أن هناك عدد من الكتاب والكتابات زاوجو بين الاثنين ذلك لعدة أسباب منها:

-هناك من ينشر نصوصه على الشبكة إمعانا في توثيقها ثم يتلو ذلك النشر الورقي.

-هناك من يكتب بذهنية ورقية لكن مصافي الورق كانت حائلا دون نشر انتاجاته، فجاءت النشر الرقمي لفك عزلة النص وإخراجه للتداول العام.

-هناك من الكتاب من لا يفهم في الأبجدية الحاسوبية والمعلومياتية لكن تصل أعماله إلى النشر الرقمي من حيث أن المجلة أو الجريدة التي يكتب فيها تتوفر على موقع إلكتروني.

-هناك مواقع شخصية تبث آخر ما ينتجه الكاتب رقميا لكن يتسرب معها الإحساس بأن هناك ركود تفاعلي مما يدعو إلى التأكيد على أن الكاتب في موقعه الشخصي باعتباره (موقع واجهة site vitrine)يزكي فقط حضوره الشكلي داخل الشبكة دون حياة تفاعلية داخل العالم الافتراضي.

[8]- http://montada.aklaam.net/showthread.php?t=4443

-من هنا يمكن التعرف على أنواع من الكتاب الرقميين، فهناك:

أ- نوع يتفاعل داخل الشبكة إنتاجا وتلقيا، يحيى داخل الافتراضي وتشعر بنبضه الذي يسري في شرايين السيليكون.

ب- هناك نوع يكتب بذهنية ورقية ويعهد بموقعه لتحيينه إلى معومياتي. ويتساوى مع المتلقين الآخرين غب اطلاعه على محتويات موقعه الشخصي.

ت- هناك من يكتب الانترنت شهادة ميلاده ككتاب وبعد ذلك يلتحق بالذهنية الورقية فلولا النت لما ربح ميدان الإبداع هؤلاء.

لهذا فمن سمات النص الرقمي:

1- الانتشار: إن النشر الالكتروني يتجاوز هدوء المكان والزمان فالكاتب ينشر فيتلقى القارئ ثم يمرر المقروء إلى الناسخة عوض السلسلة التقليدية التي تطبع المنتوج في المطبعة ثم تقوم مؤسسة التوزيع بتوزيعه ليستقر أخيرا في يد القارئ.

2- النص باعتباره وثيقة إلكترونية تحتوي على تقنية الكتابة التفاعلية يستحيل تحويله إلى ورق.

3- النص هو لوحة رقمية كما حدده بييرشويتزر مخترع مشروع.@folio

4- النص باعتباره تجميعا لمختلف التقنيات الرقمية المستخدمة في صفحات الويب كتقنية النص المترابط هايبراكس ومؤثرات المالتي ميديا من صوت وصورة وحركة وفن الجرافيك والانيميشن.Animation

5- النص بما هو جسد غير منفصل عن شاشة الحاسوب التي تتسرب إلى الأدب لتتحول إلى حوامل منتجة للمعنى وخالقة له، و نمثل لذلك ببعض النصوص:

- في العالم الغربي بمايكل جويس بروايته ظهيرة1986 afternoon story ، وروبرت أرلاندو المعروف باسم بوبي رابيد بروايته: شروق شمس 69، وستيفن كينغ بروايته Ridding the : polit 2001.
- وفي العالم العربي نمثل لذلك برواية في ظلال الواحد ورواية شات وقصة صقيع لمحمد سناجلة، رواية ربع مخيفة لأحمد توفيق، تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق للشاعر مشتاق معن عباس، هذه ليلتي للقاصة فاطمة بوزيان، قصة حبيبة الإمايل وقصيدة سيدة الياهو للأديب ادريس عبد النور ، احتمالات للقاص محمد شويكة.

6- التخييلية : للنص الرقمي التشعبي أسلوبه الخاص المتخيل بالتزامن مع انتشار البرمجيات، فهناك برامج صممت خصيصا لنص الرقمي الأدبي منها: ستوري سبايس (story space 2.0

.1990وهو أداة لتنمية النص التشعبي على المستوى المهني وهو متاح من أنظمة إستجيت Estgate systems التي نشرت أعمال ميكاييل جويس: بعض الظهر، خليط فتاة لشيلي جاكسون، حديقة النص لستيوارت مولتروب، إلى الأمام في أي مكان لجودي مالوي.

- بالنسبة للقصيدة الرقمية: ندرج هنا نموذج لرايمون كينو "مائة ألف مليار قصيدة" وهي قصيدة رقمية Digital Poem أو قصيدة إلكترونية Electronic Poem والقصيدة التفاعلية هو أحد المصطلحات المستخدمة للتعبير عن النص الشعري الذي يقدم عبر الوسيط الالكتروني. وقد عرفها لوس غلايزر Loss pequeno glazier بأنها تلك القصيدة التي لا يمكن تقديمها على الورق. لكن إذا كان مسموح للقصيدة بالتداول والتلقي عبر الأقراص المدمجة CD أو البريد الالكتروني. فما هي الخصائص الرقمية التي يجب أن ترتحل معها نحو الورق.

7- فعل التلقي: للنص الأدبي الرقمي إمكانية القراءة والتلقي بواسطة إمكانية انتاجه أي القراءة على شاشة الحاسوب موصولة بشبكة الانترنت. قد اتفق مع وجهة النظر التي تقدم إمكانية تحويل النص الورقي إلى نص رقمي لأن الكتابة الإبداعية لا تتم إلا مرة واحدة لكن:

- هل الأمر مختلف أم متشابه في حالة ما إذا عكسنا الوضع؟
- أي هل ستظل سمات "الإبداع الرقمي" حاضرة في حالة نقل النص من الرقمي إلى الورقي؟،
- هل يمكن ملامسة اللحظة الإبداعية في هذا الانتقال؟،
- وهل رؤية العالم في المنطقة الافتراضية تختلف عن نظيرتها الواقعية؟
- هل يمكن القول بأن فكرة الجنس الأدبي النقّي فكرة خيالية؟.

عملية بناء نص تفاعلي مسبق: مخطط شجري.

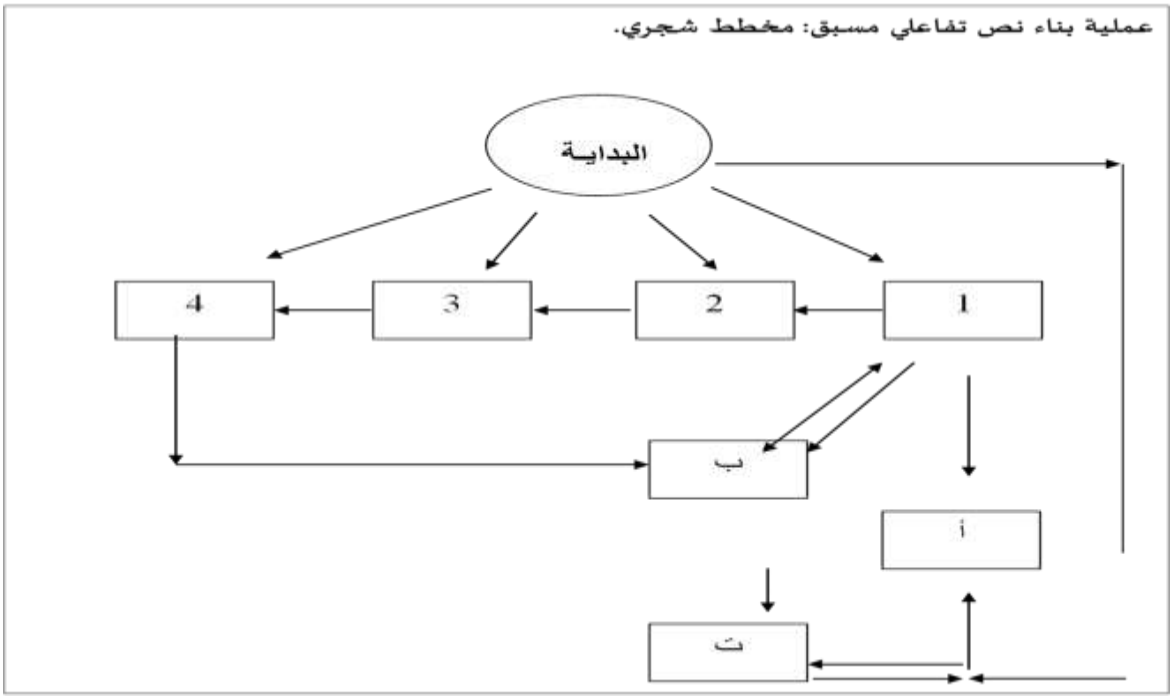

إن الخلل الوارد في نظرية الأنواع الأدبية لا يعني تجريد الأدب الرقمي من أدبيته.

فمصطلح "نص عابر للأجناس" يدل على العجز في تصنيف بعض النصوص، فهل يتغير شكل الرؤية مع تدخل الوسيط الرقمي على مستوى الإنتاج كما على مستوى التلقي.

-أين تتحقق أدبية النص الرقمي إذن؟

تلك مسألة يجب النظر إليها من وجهة نظري خارج مسألة التقنية، من حيث أننا لا يمكن أن نضحي بالأدبية في سبيل ما هو تقني.

-فأين تمكن جمالية النص الرقمي؟، وهل يحقق هذا النص أبعاد الإنسان كما حققه النص الورقي: أبعاد إنسانية، فنية، جمالة ، معرفية وجودية.

4- النقد الرقمي- التفاعلي.

ارتحل الطرح المفاهيمي مرة أخرى نحو النقد كما عرفنا مع النص الرقمي وإشكالياته المصطلحية، فتعددت التسمية وأتت ملتبسة، فطرحت فاطمة البريكي مصطلح النقد التفاعلي، في حين وظفت الناقدة زهور كرام النقد الرقمي من حيث اشتغاله على مختلف مكونات النص الرقمي التي تشتمل على: لغة معجمية، لغة البرامج المعلوماتية ووسائط multi- media المالتي ميديا..

- لكن إذا كان المبدع الرقمي غير مطالب بالتخصص في الاعلاميات فكيف يقنعنا برؤيته الرقمية؟.

- أيمكن اعتبار وجهة نظر المهندس الذي يبني النص الرقمي من الخارج، قراءة وخلق إبداعي من الدرجة الثانية؟
- إذا كان حيّز النقد الرقمي ينصب على آليات اشتغال النص الرقمي فكيف لهذا النقد أن ينتقد الكاتب بتصورات خارجة عنه.
- إذا كانت تجربة النص الرقمي تتجاوز الكاتب ذاته ، أيمكن لها أيضا أن تتجاوز الناقد.
- إذا حصل لنا الوعي السابق بأن الناقد مبدع فاشل، فكيف نتصور مهندس إعلاميات ناقدا أدبيا رقميا بدون مرجع.
- أما في مسألة تعددية القراءة نطرح سؤالا يتساءل حول تقييد النص مثلا بموسيقى معينة، بصورة متحركة معينة، بمتخيل رقمي معين، الشكل الذي يمنع تعدد قراءة النص الرقمي.
- كلنا يعرف أن متلقي النص الأدبي ينتج النص عبر وضع خلفيات وبناءات تخيلية تتماشى مع انفتاحه الثقافي ومرجعيته الأدبية، ألا يعتبر مثلا تلقي رواية شات تلقيا مفردا تدخل فيها الكاتب لإنتاج خلفيات مؤطرة للنص ولتأويلاته؟.

لقد عمد الناقد الرقمي البريطاني وليام ويندر في القسم الثاني من مقالته "الروبو الشاعر: الأدب والنقد في الزمن الالكتروني" إلى تجربة توسع من آفاق الحاسوب تتمثل في إنشاء" "الروبو الناقد" حيث يوضع النص داخل البرنامج انطلاقا من فرضية عمل مسبقة فيقوم الحاسوب بعمل نقدي رقمي للنص يتماثل أحيانا مع العمل الإنساني.

وإذ تتطلب قراءة النص وعيا ومعرفة باللغة الرقمية والالكترونية على الخصوص وفهم إحالاتها المعجمية والنفسية، تتطلب أيضا فهم العمق الدلالي لكل من قضية تلقي النص الابداعي وما يتركه من ضعف على مستوى اختزال الجملة الأدبية ، وما يتركه ذلك على مستوى البنيات الثقافة ككل.

1) التلقي الرقمي.

قد ينبهر المتلقي الرقمي بمستوى النص الرقمي لما راكم من وعي بصري يتلاءم مع الكيفية التي نتلقى بها الحقائق، ويمكن لهذه القراءة أن تدخل في باب "الانطباع الرقمي."

- هل يكمن الأصل في الصورة أم في الكلمة؟ كما يقول محمد سناجلة.
- هل يمكن اعتبار التجريد هو الأصل وليس الصورة كما يقول د. سعيد بنكراد؟
- هل الفكرة سابقة على الصورة ؟

إن قدر الكلمات يتجلى في أنها تختزل العالم وتختزلنا معها وتفتح للتلقي متاحا أوسع للخيال بينما يعمل الأدب الرقمي انطلاقا من آليات اشتغاله على الحد من هذه القدرة، ولهذا إن لم يؤد

النص الرقمي إلى فتح أشكال تفاعلية داخله ومنح التلقي تلك القدرة على فعل التخيل، فسوف ينتج متلقيا سلبيا منبهرا فقط بالشكل الخارجي للإبداع الذي يشوش في نفس الآن على خصائص وجوده.

ويعتمد النص التفاعلي Interactive fiction على قارئ ملم بالحد الأدنى من المعرفة الرقمية، قارئ تفاعلي لنص متشعب Hypertext hyperfiction يستخدم بالإضافة للنص الكتابي، الرسوم التوضيحية، الجداول، الخرائط، الصور الفتوغرافية، الصوت، نصوص كتابية (كولاج رقمي)، أشكال الجرافيك المتحركة، باستخدام وصلات وروابط.

يجب القول أخيرا أن هناك ظاهرة أدبية جديدة جديرة بالمواكبة ، أدب يتشكل ويمنحنا خيوط تشكله، له عدة تسميات لم تستقر بعد ولكل تسمية دلالة خاصة بالعلاقة مع الحاسوب والانترنت.

أما الدلالة العامة لأشكال مواكبة ورصد ما يحفل به هذا النمط الكتابي الجديد فيتحدد في عناصر منها:

-كون النص الرقمي الالكتروني لا يستطيع الحضور ورقيا.

-كون حضوره مشروط بالرؤية التي تدمج الوسيط الرقمي في تمثل العالم.

-كوننا سنعيش نقلة تنظيرية تزعزع كيان نظرية الأدب وتمحو الحدود والفواصل بين الأجناس الأدبية.

-كوننا الآن نعيش الاحتفال التفاعلي كمرحلة عبور، إذ ينبهر المتلقي وتسيطر عليه كل الوسائط البصرية والسمعية التي تمنح النص الرقمي، وفي غياب وعي بالثورة الرقمية وإدراك آليات اشتغالها يزداد هذا الانبهار اتساعا.

6-من تأثيرات العالم الافتراضي

يمكن إدراج بعض ضحايا التكنولوجيا كالآتي:

2) ضعف اللغة الابداعية

إن اللغة المستخدمة من طرف الشباب عبر الشات و) SMS - MSNرسائل الموبايل) تعتبر ناتجا تكنولوجيا سيؤثر لا محالة على العملية الإبداعية على مستوى الكتابة ، " فالاتصال الإلكتروني يهدد على المدى البعيد كثيرا من العمليات الإبداعية التي سادت عصور الاتصال السابقة ومنها الكتابة الإبداعية" حمدي حسن أبو العينين، الأهرام 2008/9/1.

فاللغة تخضع للاختزال عبر وسائل الاتصال الحديثة، حيث يتعرض المعجم اللغوي التواصلي الإلكتروني للإبادة، والمفردات إلى تجديد الدلالة حيث يتبين أن اللغة تفقد وظائفها مما يؤثر على الفنون الإبداعية المهددة بدورها بالاختفاء.

فمنذ 3 عقود كان عدد المفردات اللغوية في المحادثات التلفونية حسب دراسة غربية، نحو 5000 مفردة وقد هبط هذا العدد مع الوسائل التكنولوجية الحديثة إلى 1800 (رسائل الاتصال الإلكتروني.)

في مجال الرواية كان عدد المفردات 10000 مفردة، نزل إلى 3500 مفردة في الأعمال المنشورة إلكترونيا.

إن هذا الانحسار في المعجم أضر بصورة العصر التكنولوجي الحديث، فقد كان الاعتقاد متفائلا بهذا الوافد الجديد، لكن ما لبث الإحباط يصل إلى نقد عصر المعلومات نظرا لولادة جيل يعرف أقل، عكس جيل وسائل الإعلام التقليدية كما جاء في تقرير مجموعة تايمز ميرو.

3) انحسار العولمة

لقد نادى الكندي ماريشال ماكلوهان في ستينيات القرن الماضي بالقرية العالمية باعتبار الدور الذي ستتركه تكنولوجيا الاتصال من أثر يجعل العالم قرية صغيرة تسري في شرايينها المعلومة الواحدة سريان النار في الهشيم، غير أن ما يلاحظ مع هذا الوافد الجديد أن هذا التحقق قد أطاح بهذا الشعار (القرية الصغيرة) حيثإن التكنولوجيا المعاصرة أعادت تقسيم العالم من جديد ،وجعلته أكثر تشظيا ، فهو تفتت إلى ملايين القرى، هذا إن لم نقل أنها خلقت الفرد العمودي الذي يصنع عالمه الخاص وفق نسق حضارة فردية منعزلة عن باقي المحيط.

إن المواطنة الإلكترونية تستند اليوم إلى نسق منبني على رغبات الفرد الخاصة، عالم لا يحترم سوى الاهتمام الضيق للفرد بعيدا عن مكان تواجده، بعيدا عن محيطه الثقافي والمحلي، فالمواطن الإلكتروني إذن مواطن عالمي الثقافة لكنه معزول بدون سند اجتماعي وبدون أفق محلي.

هذه الملاحظة تنصب على المواطن "البارساوي" مثلا من حيث أن هذا النادي له مشجعون في أرجاء العالم تؤدي بالفرد إلى إهمال النادي المحلي.

4) الاغتراب المعرفي- الثقافي للأنترنوت:

إن الإبحار في الأنترنت كفيل بصنع الفرد وتشكيل ثقافته بعيدا عن مكان وجوده ومحلية ثقافته لحساب الثقافة التي تلقاها عبر روابط الشبكة العنكبوتية.

إن البث الإلكتروني الرقمي فيما هو يتعدد مستعدا لغزو خصوصيات الأفراد، يفكك باستمرار العلاقات التي جهدت الدول في إقامتها عبر التنشئة الشيء الذي يؤدي إلى مزيد من الاغتراب،

بالرغم من أن هذا الانفتاح قد أطاح بالرأي الواحد والتصور الواحد وسهل على الفرد إقامة التمايز والحكم على نمط العيش الذي يرغبه.

. فكيف نؤسس لثقافة واحدة في ظل هذه الأحادية في التلقي ؟

. كيف نجعل الأفراد، في ظل هذه الأحادية، يفكرون بطريقة جماعية في تحدي الأنترنت الذي يؤسس للعزلة ؟

. كيف نجعل الكتاب الورقي السهل الاستعمال، يتحول إلى كتاب رقمي مع التنصيص على أن الأدب سيبقى هو هو ؟

خاتمة: خلاصات وتوصيات

إن دور الثقافة بما هي الأساس الاجتماعي ليس منحصرة في تحقيق الغايات المادية بل هي أساس هذه الغايات .

وإذ يتجه الخطاب الرقمي الآن نحو مفاهيم تقليدية مثل (حب الوطن، الدفاع عن الحرية والعدالة، الأسرة، وتوزيع النمط الصحفي على الجميع) فهو لا ينفي الثورة داخله حيث أن ما يوهم العقل بان أجوبته منطقية ، يكمن في العزلة المزمنة للكائن ما يوهم بالحاجة إلى الميتافيرس metaverseكضرورة.

إن تكنولوجيا المعلومات وهي تحدث ثورة في ميدان المعلومة لا تستطيع أن تؤثر سوسيولوجيا في الشعوب دون أن تكون لهذه الأخيرة القابلية النفسية والسوسيولوجية للتغيير، فلا نستطيع مع هذه المعادلة وصف الإنسان كضحية للتكنولوجيا وبالتالي للخطاب الرقمي حيث أصبح الانسان - المستهلك يستدمج التقنية من ضمن آلياته الشيء الذي يجعل هذا الخطاب يشرعن نتائجه ويؤثر بها على القرار البشري.

- خلاصات:

إن الربط بشبكة الانترنت أصبح من بين أبرز المؤشرات البارزة في تقرير التنمية البشرية، الشيء الذي دفع بالعديد من الدول العربية إلى الانخراط والاستجابة لتوجهات مؤتمر القمة العالمية لمجتمع المعلومات بجنيف ولقرارات وثيقة التزام تونس، حيث قفز عدد مستخدمي الانترنت بالمنطقة العربية من 14 مليون مستخدم في منتصف سنة 2004 إلى 26مليون مستخدم عند نهاية سنة 2006 .كما جاء في ورقة شريف اسكندر المدير الإقليمي لمجموعة غوغل في الشرق الأوسط(

[9])، وهذا الانتشار النسبي ساهم في خلق الوحدة الالكترونية المجتمعية عبر التفاعل في المنتديات والمواقع العربية الالكترونية.

وتشكل المواقع الإسلامية الآن صدارة ترتيب المواقع العربية وهي ظاهرة لم يعرفها سوى العالم الإسلامي حيث وجود عشرة مواقع إسلامية متشددة على الأقل ضمن 100 موقع عربي نشيط، وقد علّق ألبرشت هوفهاينز بأن "هذه الظاهرة فريدة على المستوى العالمي لأنه لا يوجد باللغات الأخرى في المواقع المائة الأولى مواقع دينية على الإطلاق.([10])"

إن المجتمع الافتراضي يشكل نواة ثقافته من الانترنت حيث يتجسد وجوده إنطلاقا من الصيغة الديكارتية التي أمحورها في مقولة ، أنا في غوغل إذن أنا موجود، وبالفعل فإن وجود مجتمع العوالم الافتراضية مرهون بمدى تنظيمه واستمراريته وتكيفه مع خطاب الكينونة الخاضع للتحول والتجدد ، وقد قال ألان تورين في تعريفه للمجتمع في كتابه Production de la société التالي " إن مجموعا ما يسمى مجتمعا ينبغي أن يتوفر على تنظيم واستمرارية، وبالتالي على ميكانيزمات حفظ ونقل توجهات معينة أو قواعد أو سلطان، ولكن هذا المجموع ينتج تاريخه وعليه أن يمتلك التكيف مع محيطه أو التأثير على تحوله ذاته."

ويمكن تلخيص بعض القيم الجديدة التي ولَّدها التعامل مع الانترنت والتي أضيفت للمخزون الثقافي العام والتي تركزت في توحيد المجتمعات:

-على المستوى اللغوي حيث تعممت تقنية التعامل مع الكيبورد بالإضافة إلى احتوائها على أسلوب خاص وموحد ومختزل لحجرات الدردشة ومنتديات المناقشة.

-الإحساس بالانتماء لثقافة مجتمع الانترنت.

-اعتبار وضعية الانطلاق في الانترنت على صيغة، أنت وما تقوله لا ما أنت عليه.

-تطعيم الميول الديمقراطية في إشاعة المعلومة وتدفقها بدون رقابة ذاتية.

-اعتبار المعلومة في الانترنت بديلا للسلطة الرمزية وقد تخترقها أحيانا.

وقد شكلت وتشكل وثيقة معهد "أسين" بواشنطن إطارا منظما لهذا المجتمع الرقمي من حيث أنها ركزت في احد بنودها على مبدأ حق الوصول إلى المعلومة الذكية مع حق المواطن في توفير بلده للبنية التحتية الاتصالية.

---

[9]- جريدة الوطن السعودية في 2006/11/15
http://www.alwatan.com.sa

[10]- ألبرشت هوفهاينز" الأنترنت في العالم الاسلامي " أجرى الحوار يوسف حجازي، موقع القنطرة .
http://www.quantara.de/webcom/show_article.php/_c-499/_nr-11/i.html

- توصيات مبدئية:

.1اعتماد المرجع الالكتروني الرقمي من بين المراجع المعتمدة في البحث العلمي بجانب الدوريات والمجلات الورقية.

.2التأمين على المواقع في حالة موت صاحب الموقع بضمان استمراريته من طرف الشركات الحاضنة.

.3حذف الضريبة على القيمة المضافة بالنسبة للأجهزة الالكترونية الموجهة للمدارس والجمعيات الثقافية ذات النفع العام والنشاط المفتوح.

.4تنشيط عملية دعم انخراط فئة المدرسين بالأنترنت بخصم نسبة معينة من مصاريف الاشتراك الشهري.

.5فصل الانترنت عن خدمات الهاتف الثابت مع إمكانية وصله بالمحمول نظرا لانعدام البنية التحتية الاتصالية بالبوادي.

.6إشاعة ديمقراطية التسيير المحلي بوضع مواقع للمؤسسات الإدارية لشرح كيفية التعامل مع خدماتها وتلقي الاقتراحات والأجوبة عنها عبر الانترنت، إمعانا في تحقيق فكرة تقريب الإدارة من المواطنين.

الملحق: فتاة الشات

"أنا فتاة أبلغ من العمر 17 عاماً من بلد عربي، لازلت في الدراسة الثانوية .. للأسف تعلمت استخدام (الإنترنت) لكني أسأت استخدامها، وقضيت أيامي في محادثة الشباب، وذلك من خلال الكتابة فقط، ومشاهدة المواقع الإباحية ، رغم أني كنت من قبل ذلك متديّنة، وأكره الفتيات اللواتي يحادثن الشباب.

وللأسف فأنا افعل هذا بعيداً عن عين أهلي، ولا أحد يدري. ولقد تعرفت على شاب عمره 21 من جنسية مختلفة عني ... لكنه مقيم في نفس الدولة ، تعرّفت عليه من خلال (الشات) .. وظللنا على (الماسنجر) أحببته وأحبني حب صادق ولوجه الله) لا تشوبه شائبة.

كان يعلمني تعاليم الدين، ويُرشدني إلى الصلاح والهدى، وكنا نُصلي مع بعض في أحيان أخرى، وهذا طبعا يحصل من خلال الإنترنت فقط ؛ لأنه يدعني أراه من خلال (الكاميرا) كما أنه أصبح يريني جسده، فأدمنت ممارسة (...)".

المراجع والهوامش

- إيميل دوركايم " الأشكال الأولية للحياة الدينية"، منشورات PUF كارديج، سنة 1912، ص: 50.
- نفس المرجع السابق، ص: 595.
- ماكس فيبر " الاقتصاد والمجتمع I ، بلون ، باريس ، سنة 1971، ص: 429.
- ماكس فيبر ، نفس المرجع، ص : 429.
- ميشال برتران" وضع الدين من منظار ماركس وأنجلز " باريس ، منشرورات سوسيال، سنة 1971، ص : 184-185.
- أليكسيس دو توكفيل" الديموقراطية في أمريكا" 2 منشورات10/18 VGE ، ص : 229.
- أنظر قصة فتاة الشات بالملحق.
- http://montada.aklaam.net/showthread.php?t=4443
- جريدة الوطن السعودية في 2006/11/15
- http://www.alwatan.com.sa
- ألبرشت هوفهاينز" الأنترنت في العالم الاسلامي " أجرى الحوار يوسف حجازي، موقع القنطرة .
- http://www.quantara.de/webcom/show_article.php/_c-499/_nr-11/i.html